باب المشارفة والانتقاد

Bibliographie.

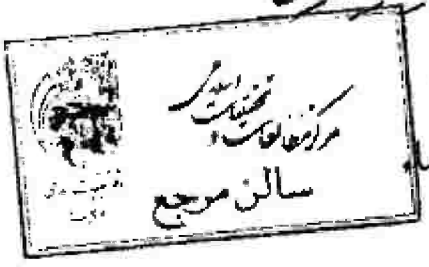

دروس في صناعة الانشاء

— تتمة —

٤ — تسمية الحقيقة

ان الكتاب مشتمل على اراء مختلفة منها الصحيح ومنها السقيم ومنها الناهض ومنها الساقط وبعضها للمؤلف نفسه وبعضها للكاتب الافرنسي وبعضها مستنسخ من الكتب العربية بعد مسخه ! ولم يعز كل شيء الى مصدره مع اننا نعلق على معرفة المصادر اهمية كبرى اذا نحن حاولنا تقدير قيمة الكتاب وقيمة تعب المؤلف والمنة التي حملها عاتق الادب العربي او — بعبارة اوضح — عاتق العراق !!!

كما يتوقف على ذلك وضع سعر لكل نوع من تلك الاراء الملفقة التي يقودها عدم الاختصاص ويزعها ضعف الملكة في العربية وآدابها .

لكن شاء عز الدين ان يطمس الحقيقة لامر في نفسه ولم يعز لنا إلا النادر. واليك نموذجا مما ترجم عن نيقول مثلا ص ٢٧ (رجل لم يرع حرمة لرجل آخر: «انه قال بعضهم لمتكبر سقيه» ولربما كان ذلك النسيان طرأ عليه وقد يدل السكوت على الخجل أو التأمل كما انه قد يدل على العي أو البلاهة احيانا) هذا نص عبارته بحرفها وبجرها . فانظروا بالله عليكم ايعز على عامتنا — بله خاصتنا — ان ياتوا بصورة من مثله ؟

ومنه ما جاء في ص ١٧ قال (بوالو) صاحب صناعة الشعر ما تعريبه نثرا « يتأثر البيت من الشعر بسفالات القلب دائما » كأن هذا التركيب الركيك لا مثيل له او احسن منه عندنا وفي امثالنا (الكلام صفة المتكلم) مع ظهور وجازة هذا ومتانته وحشو ذاك وفجاجته واحسن من عبارة (بوالو) ان يقال

« ان الشعر ليشرف بشرف القلب ويخس بخسته » فان كلمات هذه الجملة مساوية لكلمات الجملة الاولى مع مضاعفة المعنى وبهاء التركيب وهـذا مما يشجعنا على ان لا نقلد الغربيين تقليدا اعمى .

٥ — قيمته الادراكية

ادراك الكاتب ينبوع لاثاره الصادرة عن قلمه فلا غرو ان تكون معرفة قيمة ذلك الادراك سبيلا الى معرفة قيمة تلك الاثار لذلك اود ان ازن ادراك المؤلف لتكون هذه المادة نبراسا يستضاء به في ممارسة بقية المواد قال في ص ٣٩ :

« ويكون مثله مثل ذلك الرجل الذي ... بدا له طريقان فسلك اشدهما ظلمة وترك اوضحهما نورا ... »

وههنا اشكال وهو انه : هل يجوز ان يقال «زيد اسخى من عمرو وعمرو ابخل من زيد » لان الجملة الاولى تقتضي اسناد سخاء شديد الى زيد واشراك عمرو فيه فاذا قيل على اثرها « عمرو ابخل من زيد » كان اسنادا لبخل شديد الى عمرو الذي وصفناه بالسخاء آنفا واشراكا لزيد في البخل بعد وصفه بالسخاء الشديد ولا يخفى ما في ذلك من التناقض . وان استطاع التملص من هذا لم يستطع التملص مما يأتي فقد قال في ص٤٣ « ولنقابل بين مطالعاتنا وتجاربنا — ولماذا لا نلتذ احيانا بمطالعة كتب بعيدة الشهرة ؟ انهـا لم تمتعنا إلّا لانا لم نهتد للفائدة العامة منها» فيكون مآل العبارة: انها امتعتنا لعدم اهتدائنا للفائدة! ومعيار ذلك ان النفي اذا نقض بإلا ، كان اثباتا فاذا قلت (لم اكرمك إلّا لانك لم تكذب) كان المعنى: اني اكرمتك لعـدم كذبك فاذا وضعنا (لم تصدق) مكان (لم تكذب) كان المعنى : اني اكرمتك لعدم صدقك ولا يخفى ما فيه !

٦ — التلفيق دون تبصر

من ذلك قوله في ص ١٣ « ومن السليقية ان لا يميل الكاتب الحضري الى التقعر واستعمال الغريب » فيقال : ما الغرض من التقييد بالحضري ؟ وليس عندنا كاتب بدوي فيحترز منه والظاهر انه نقل هذه العبارة من كتاب الف ابان

دخول العرب في طور الحضارة فكان مجدرو ذلك العصر ينهون الكتاب عن استعمال ما علق باذهانهم من الغريب لقرب عهدهم بالبداوة فنقلها المؤلف على علاتها ذاهلا عن كونه يؤلف في العصر الحاضر . فما اجدره ان يبدل بكلمة « الحضري » كلمة « العصري » !

ومن ذلك قوله في ص ٢٠ « ولا ريب في ان احرار التلاميذ كالابناء لا يرضون ان يكون لهم منطق العبيد والاماء » وادراج هذه العبارة على النسق المشهود الذي لا يلائم ذوق العصر الجديد لابد ان يكون ناشئا عن السبب الذي قدمناه .

ومما له علاقة بالمادة قوله في ص٥٩ « ومنها الغاء خبر لوثقة بفهم المخاطب كما جاء في القرآن «ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى . بل لله الامر جميعا » فالخبر هنا مضمر » ومراده جواب الشرط وهو اصطلاح قديم غريب بالنسبة الى التلاميذ غرابة الاصطلاحات الفيزيائية !!!

٧ — التقليد الاعمى

وهو مما لا يناسب مقام استاذ في مدرسة راقية في عاصمة ذات شأن وليس غرضي منع التقليد فيما لا مجال للرأي فيه بل في الامور التي للروية فيها مجال مثال ذلك انه نبه في ص ١١٦ على نبذة من عثرات الاقلام ناقلا اياها — بالطبع — عن بعض الباحثين المحدثين ومنها « لا يقال رضخ لامر معلمه بل يقال خضع او ائتمر بامر معلمه » وصواب العبارة خضع لامر معلمه او ائتمر به لكنه نقلها كما وجدها على ما يظهر من سياق تعبيره .

ومنها : « لا يقال مما يؤسف له ان ... بل يقال مما يؤسف عليه ... » ولم يشعر بان المقلد (بالفتح) نفسه كان مخطئا لان الاسف انما يتعدى بعلى الى الامر المحبوب الذي جرى عليه امر مكروه اما الامر المكروه فينبغي ان يقرن باللام . فتأمل .

٨ — سوء هضمه للعربية

اذا قيل ان الاستاذ عز الدين قد هضم العربية فليس معنى ذلك انه اغتذى بها بل ... وان خامرك الشك فالصق ركابك بركابي في هذه الجملة المباركة

التي يراد بها اعلاء كلمة الادب وانقاذه من براثن التصنع اوقف معي على هضبة الصفحة ١٤٤ ــ ١٤٥ حيث تشرف على قوله « الاستفهام لفظتان الهمزة وهل . اما الهمزة فيستفهم بها عن التصور و ... حكمها ان يليها المستفهم عنه مطلقا... ولك ان تذكر معها معادلا ... واما هل فلا يطلب بها إلا التصديق وحده ولذلك لا يذكر معها معادل... فيمتنع ان تقول هل جميل نجح ام خليل... لان المراد تعيين احد الامرين... والجمع بينهما بام يؤدي الى التناقض» اه. المقصود ملخصا وان شئت مزيدا يضاح فراجع الاصل.

ثم قف معي على ص ١٤ و ٥٤ و ٨٣ تجد المؤلف نفسه يقول في الاولى: « هل التأني في الكتابة انفع ام الاستعجال ؟ » ويقول في الثانية : « هل هي حق ام تشبه الحق ؟ » ويقول في الثالثة : « اهو بين اهله ام مكفول في اسرة اخرى ؟ » مع ان السؤال عن الظرف. فهل يحتاج الباحث بعد هذا الى شاهد آخر على ما تقاسيه العربية في مهدها ؟ فكيف لو علم ان الاستاذ ينتصب لامتحان بعض المرشحين للتدريس الثانوي ؟!!!

٩ — قيمته الادبية

قال في ص ١٣ « قال احد شعرائنا المطبوعين على الشعر :

ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن سليقي اقول فاعرب

فاقول هذا البيت يشرح نفسه بنفسه لوضوحه ويترجم عن صاحبه انه انما اراد الانطباع على الاعراب لا على الشعر كما يدل عليه قوله «بنحوي» وقوله «فاعرب» ولم يقل « عروضيا » ولا فأوزن » .

١٠ — قيمته اللغوية

جاء في ص ٥ قوله « مما يمليه في رسالته » والاملاء الالقاء على آخر للكتابة وهو يقتضي وجود شخصين متغايرين ملق وملقى عليه . اما المؤلف فاستعمل الاملاء استعمال ساذجي كتاب الدواوين اذ يقول احدهم امليت الدفتر وذلك بحكم وراثة الاصطلاحات التركية .

وفي ص ١٢ قوله « استقرى » بالنقص بمعنى استقرأ المهموز ذهابا منه الى ان الهمزة في الاستقراء منقلبة عن حرف علة كالاستخذاء مثلا .

وفي ص ١٤٢ « بسبب الضعف المنهك » بالزيادة والصواب التجريد لان الانهاك بمعنى المبالغة في العقوبة .

وفي ص ١٥٥ « متأملين ان تهديهم » بمعنى مؤملين وهو من استعمال عوام الكتاب! ومن المضحكات : ولكنه ضحك كالبكا ... و ... قوله في ص ١١٥ « وعلى الطالب ان يضيف الى الجدول التالي ما يؤشر عليه معلمه » ك « يقشر » .

وشرح ذلك ان « اشر » لا مادة لها في العربية إلّا اذا كانت من « الاشر » اي البطر اما « اشار » فلو جاز ان يقال منها « أشر » لجاز ان يقال « ارد » من « اراد » و « اقم » من « اقام » و « اعد » من « اعاد » و « افد » من « افاد » الخ . بتشديد الحروف الثانية من الجميع .

واذا وزنا « اشر » وجب ان تكون « افل » بالتشديد لان الهمزة زائدة والشين فا. الكلمة والعين محذوفة ولا يخفى ما فيه! فاللهم تدارك لغة كتابك كما تتدارك افلاذ اكباد الامة .

وتالله ان الاغلاط الشائنة لفاشية في الكتاب فاقتصرنا منها على ما تيسر .

١١ — قيمته النحوية

جاء في ص ٣ قوله « جمة تكاد لا تحصى » ولم يرد في القرآن وهو الامام في مثل هذا الشأن إلّا تقديم حرف النفي على كثرة الورود كقوله تعالى « اذا اخرج يده لم يكد يراها » وقوله « ولا يكاد يبين » وقوله « لا يكادون يفقهون قولا » وقوله « لا يكادون يفقهون حديثا » .

وفي ص ٣٩ « قال الفضل بن سهل للمأمون وهو بدمشق مشرف على غوطتها والصواب « مشرفا » .

وفي ص ٤٩ « والطلاب الذي يريدون » بافراد اسم الموصول! وفي ص ١٤٠ « وان كان العدد مضافا ادخلت اداة التعريف على التمييز المضاف » فلعل حضرته يظن حتى اليوم ان المضاف هو الكلمة الثانية على الطريقة التركية او الانكليزية!

وقال في ص ١٥٠ « والعطف لا يجتمع مع الاستثناء » ومفاد كلامه انه لا يصح ان يقال « خرج التلاميذ إلّا عليا وجميلا » فتامل .

فاذا تغلغلت هذه الاغلاط المخزية في اذهان تلاميذ الصف المنتهي فاين — ليت شعري — يغسلون عنها الادران بعد تخرجهم ؟

حاشية: وهنا أسأل اهل الانصاف: ايجوز لمن لا يفرق بين المقصور والمنقوص ان

يتعرض لشؤون العربية وآدابها . بل يتصدى لامتحان معلمي الثانوية ، وهو الذي يقول في مقالة منشورة في الجزء الاول من مجلة الحرية المحتجبة ص ٧٧ : « من تلك الشوائب اهمال تنقيط المقصور للتفريق بين امثال الاسم علي والحرف على « ومراده بالمقصور المنقوص ولم يكتف بهذه المأساة حتى مثل بالاسم « علي » الذي ليس منقوصا ولا مقصورا . ان هذا لما تنشق له مرائر الاحرار !

وفي ص١٠٢ « ويعربوا فقط عن احساسهم » بتقديم فقط مع اقترانها بالفاء المقتضية للترتيب وهذا من محال دعوى التضلع من علم النحو ...

وفي ص ٧٠ وان غمض عليك ما هو سبب الغموض . دون ربط الجواب . وامثال ذلك كثير .

١٢ — قيمته الصرفية

اذا اردت ان تعرف طول باع عز الدين في الصرف فعليك ان تراجع ص ١٢٠ و١٠٣ لتجد حضرته يصوغ من « سر » اسم فاعل على «سر » حيث جاء في الاولى قوله « فقد تكون كما رأيناها مسرة » وجاء في الثانية قوله « وهي مسرة جدا » فلتسكب عينك العبرات يا ايها القارىء الشهم.

١٣ — التحريف

التحريف قبيح واقبحه ما كان في القرآن كنقله قوله تعالى « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » باسقاط الظرف .

وكنقله قوله تعالى « ص ١٤٦ » « وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا » باسقاط الفاء الرابطة لجواب الشرط وانكى من ذلك وضع ما يسمونه بالافرنجية (الوركول) اي الفاصلة مكانها فيالله للمسلمين .

مع انا لو عرضنا الآية على رجل غير مسلم وكان عنده الملم بسيط بالعربية لشعر بالفراغ الحاصل من حذف الفاء .

١٤ — درجته في البلاغة

يتبين ذلك من خبطه في الامثلة كقوله في ص ١٢٣ في بحث المجاز المرسل: «وهذه العلاقات كثيرة منها السببية من قولك لك عندي يد بيضاء اي نعمة لان سبب

النعمة هي اليد » وليته اكتفى بذلك بل عطف عليه قوله «ومثله : « على العربي في العراق ومصر ان يلبس القطن الذي يزرعه ». ولعل اساتذة الفلسفة لا تقر له هذا التمثيل لان القطن مادة الملبوس فهل يجوز ان يكون السبب داخلا في قوام المسبب ؟ وليس من غرضي التعرض لصحة التعبير .

١٥ — قيمته الاملائية

جاء في ص٣٩ (باليل) بلام واحدة وفي ص٣ «المنشئ» والصواب المنشي، وفي ص٤ ان «ينشئ» والصواب ان ينشي، . وفي حاشية ص٥ «آثارها الزراعة» والصواب آثارها بالهمزة لا بالمد وفي ص٧٠ (بني المجد بيتا فاستقرت عماده علينا فاعيى الناس ان يتحولا) والصواب فاعيا بالالف لاجتماع يائين وفي ص ٥٨ (الكلاء) بتأخير الهمزة عن الالف والصواب اجلاسها عليه وعكس ذلك ما في ص١٣٣ (جأني) باجلاس الهمزة على الالف مع انه قال في ص ١١١ « ومما نشدد ايضا به تجنب اغلاط الرسم التي ترتكب احيانا » فتأمل يا ايها الرجل . . .

١٦ — قيمته التاريخية

ما ادري ماذا قصد عز الدين من درس بعض نكات دقيقة في كتبه التي يؤلفها لاجل العراق ! كقوله في حاشية ص ١٩ « ولم يحفظ القرآن من الخلفاء سوى عثمان بن عفان والمأمون » فحصر حفظ القرآن في خليفتين وما ادري كيف استقرأ احوال الخلفاء واحدا واحدا حتى قطع بهذا الحكم واقدم على هذا الحصر فاما ان يكون مقلدا تقليدا اعمى واما ان يكون له في ذلك مآرب اخرى !

١٧ — درجته في البيان

يمكنك ان تفهم درجة المؤلف في البيان من نحو قوله في ص ٦٩ في قسم التمارين « وكان الذي عصر الخمر طويل النجاد » ولا مناسبة بين عصر الخمر وطول النجاد ومثل هذه الدقائق مما لا ينبغي ان يذهل عنها او يجهلها معلمو الانشاء .

ومما يؤكد دعوانا ما اورده للقارىء مستطردا — من مقالة للمؤلف منشورة في الجزء الاول من مجلة الحرية المحتجبة وهو قوله « باسلوب عذب مذاقه

مطرد سياقه تلفأ بمثله القلوب الشبمة » فقوله « تلفأ بمثله القلوب الشبمة » كناية عن الارتياح و الاطمئنان وهو مما يناسب الذوق العربي لان العرب يكنون عن الارتياح و الاطمئنان بقولهم « ثلج صدره »

١٨ — تفخيم الكتاب بمسائل ابتدائية

لا يكاد الطفل يجتاز الصف الرابع الابتدائي إلّا وهو واقف على ان « ان » تضمر في خمسة مواضع وجوبا وموضع واحد جوازا وذلك بعد لام الجحود وحتى واو وفاء السببية وواو المعية ولام التعليل على التفصيل المعروف في محله اما الاستاذ المؤلف فانه ظن هذه البسائط من الامور العصية المنال فتكلف التنبيه عليها لغير طائل راجع ص ١٤١ .

١٩ — خاتمة

قد هديت بحمد الله تعالى الى فلي الكتاب والتقاط ما انبث فيه من الجراثيم الفاتكة بلغتنا العزيزة وآدابها ، بملقط دقيق ، بانامل رفيقة . واقتصرت من ذلك على ما تسنى للقلم الكسير حصره وردّه الى احدى المواد السابقة . اما ما لم يمكن حصره من الحشو وسوء السبك ومخالفة الفصيح الامور المفسدة الذوق المخلة باللهجة فاعرضت عنه لان هذا الجزء خاتمة المجلة والوقت اضيق و اغلى ثمنا من ان أؤلف كتابا ثانيا في تفنيد هذا التصنيف وتزييفه واني لارجو ان يكون ما هيىء لي كافيا لان يتخذ معيارا في تقويم الكتاب ووضعه في منزلته اللائقة به او كيفما كان فان كتابا يرمي به الى تثقيف اذهان التلاميذ و اسباغ حلة قشيبة على رشيق البيان لا يستغني عن تفويضه الى رجل ذي بصر في العربية ليقوم بتنقيحه وتشذيبه وإلّا كان وبالا على الاقلام وارباب الاقلام من النشء العزيز . يصر الله اولياء الامور طريق واجب البلاد وسدد خطاهم في توسيد شؤون العربية الى اربابها قبل ان تقوم ساعتها (١)

أ . د

(١) فيه اشارة الى قوله صلعم : (اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة)